كيف نشأ علم التفسير ؟

١ـ لم يكن الصحابة رضوان الله عليهم في مستوى واحد من العلم بكتاب الله تعالى ، وإنما امتاز منهم أناس في التفسير : الخلفاء الراشدون ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وأُبيُّ بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وأبو موسى الأشعري ، وعبد الله بن الزبير ، وأنس بن مالك ، وأبو هريرة ، وجابر ، وعبد الله بن عمرو بن العاص[1] .

٢ـ طبقة التابعين : انقسمت ثلاثة أقسام :

أ ـ أصحاب عبد الله بن عباس : وكان أشهرهم مجاهد بن جبر (ت ١٠٣) وسعيد بن جبير (ت ٩٤) وعكرمة (ت ١٠٥) وطاووس (ت ١٠٦) وعطاء بن أبي رباح (ت ١١٤) ، وكان أعلمهم مجاهد .

ب ـ أصحاب عبد الله بن مسعود : في الكوفة ومنهم علقمة بن قيس (ت ١٠٢) والأسود بن يزيد (ت ٧٥) وإبراهيم النخعي (ت ٩٥) والشعبي (ت ١٠٥) .

جـ ـ أصحاب أنس بن مالك : ومنهم زيد بن أسلم (ت ١٣٦) وقتادة (ت ١١٧) والحسن البصري (ت ١١٠) وعطاء (ت ١٣٥) ومحمد ابن كعب القرظي (ت ١١٧) .

وكان من مميزات هذه الطبقة الثانية : أنها اعتنت أكثر بالتفسير ودوَّنته وكتبته وحفظته ، وقد كان في مقدمة أولئك في التدوين مجاهد بن جبر .

٣ـ الطبقة الثالثة : التي قام فيها علماء ليقدِّموا تفسيرات واسعة تجمع ما انتهى إليهم من أقوال الصحابة والتابعين كتفسير سفيان بن عيينة

---

(١) رواه السيوطي وابن تيمية .

(ت ١٩٨) ووكيع بن الجراح (ت ١٩٧) وشعبة بن الحجاج (ت ١٦٠) ، ثم جاء بعدهم محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠) ، وكذلك عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت ٢٧١) والذي وصل إلينا هو تفسير الطبري ، وهو تفسير عظيم جمع فيه المأثور بالسند وميَّز بين الصحيح منه وغيره .

وكان من مميزات هذه الطبقة الثالثة هو ضبط الأسانيد والروايات ونخلها بمنخل علمي عظيم. . . وأضافوا إلى التفسير كل ما تعلق بفهم القرآن من قراءات وأسباب نزول وناسخ ومنسوخ ومتشابه وغير ذلك .

ـ ولما توسَّعت الاختصاصات العلمية ، وظهر العلماء المختصين توسعت التفاسير وتنوَّعت ، فجاء علماء العربية ليخدموا التفسير ، فأبرزوا بلاغة القرآن وإعجازه اللغوي ، فكان من ذلك تفسير أبي حيان الأندلسي ، وتفسير الكشاف للزمخشري ، وتفسير أبي السعود .

وجاء علماء الفقه ليستخلصوا منه أحكام الحلال والحرام ، فكان الجامع لأحكام القرآن للقرطبي المتوفى (٦٧١) وكان أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي (ت ٥٤٣) .

وجاء علماء التوحيد والكلام ، ليستخرجوا منه دلائل التوحيد وفروعه ومتعلقاته ، فدافعوا عن العقيدة من خلاله وأزاحوا عنها الشبهات ، فكان تفسير مفاتيح الغيب للإمام الرازي (ت ٦٠٦)[1] .

* * *

(١) بتصرف من روائع القرآن : د . البوطي ص ٧٥ .